مَدْيَن

عناصر الموضوع

التعريف بمدين ٢٧٠
ذكر مدين في القرآن الكريم ٢٧٨
رسول الله إلى مدين ودعوته ٢٧٩
مواقف مدين من رسولها عليه السلام ٢٨٢
بعد الله عن مدين وإهلاكها عنها ٢٩٢
عاقبة أهل مدين ٢٩٦
العبرة من مدين وتعلم في القرآن ٣٠١
الوعي عليه السلام في مدين ٣٠٢
الدروس المستفادة من قصة مدين ٣٠٤

أولًا: المكان:

اتفق المفسرون على أن مدين التي ذكرت في القرآن الكريم هي: اسمٌ لقوم شعيب عليه السلام، وهم قبيلة من العرب، وكانوا يسكنون في شمال غرب الجزيرة العربية وجنوب الشام بالقرب من مدينة معان، وتبوك، وبحر القلزم (الأحمر حاليًا)، وأن الله تعالى أرسل إليهم شعيبًا عليه السلام، وهو من بني مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام على ما ذكره جمهور المفسرين والمؤرخين[1].

ولكن اختلف المفسرون وغيرهم من الجغرافيين والمؤرخين في تحديد الموقع الجغرافي لـ(مدين) على ثلاثة أقوال:

القول الأول: ذهب الإمام ابن كثير وابن عاشور وبعض المفسرين إلى أن مدين مدينة تقع بالقرب من مدينة معان في الشرق الأردني من أطراف الشام مما يلي ناحية الحجاز، قريبة من بحيرة قوم لوط[2].

ومدينة معان حاليًا هي: مدينة في المملكة الأردنية الهاشمية، تقع جنوب العاصمة عمان، وتبعد عنها بحوالي (٢١٦) كيلومترًا، وهي أكبر محافظات الأردن مساحة، وأول منطقة دخلها الإسلام في بلاد الشام[3].

القول الثاني: إن مدين تقع شمال خليج العقبة في بلاد فلسطين في قرية تسمى: كفر مندا، وهي قرية عربية فلسطينية، تقع في الجليل الأسفل، وتبعد (١٦) كيلومترًا شمال غربي الناصرة المحتلة من قبل الصهاينة[4].

---

(1) انظر: جامع البيان، الطبري ١٨/ ٥٦٢، النكت والعيون، الماوردي ٢/ ٢٤٩، التفسير الوسيط، الواحدي ٢/ ٣٠٩، المحرر الوجيز، ابن عطية ٣/ ٤٣، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٤٠١، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٨/ ٢٤٠.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٤٠١، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٨/ ٢٤٠، معجم البلدان، ياقوت الحموي ٥/ ٧٧، الإشارات إلى معرفة الزيارات، الهروي ص٨١، آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني ص٢٤٩، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، القطيعي ٣/ ١٢٤٦، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي ١/ ٣٥٩.

(3) انظر: معجم البلدان، ياقوت ٥/ ١٤٣، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي ص٣٠٠.

(4) انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٦٦، التفسير القرآني للقرآن، الخطيب ١٠/ ٣٣٦، تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص٦١٤، التفسير المنير، الزحيلي ٢٠/ ٨٢.

وذلك وفقًا لما ذكره المؤرخ الشهير ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان تسمى اسم القرية مدين، والذي مر بالمكان سنة (١٢٣٠م)، حيث ذكر أنه يوجد في القرية بعض الهياكل التي تشير للقافلة، وأهمها البئر الموجودة في ساحة القرية، وقبر بنات شعيب، ولكن يرجح الحموي أن تكون مدين: قرية على بحر القلزم بمحاذاة تبوك[1].

القول الثالث: ذهب الجغرافيون المسلمون في تحديد بلاد مدين بوضوح وبلا اختلاف يذكر، وكذلك جمهور المؤرخين إلى أنّ: مدين تقع في شمال غرب الجزيرة العربية بين تبوك وبحر القلزم (البحر الأحمر)، على بعد (١٣٢) كيلًا من تبوك، محاذية تجاه الشام قريبًا من مدينة معان وخليج العقبة، من أطراف الشام، وهي تقابل تبوك من بحيرة قوم لوط عليه السلام[2].

وتعرف مدين اليوم باسم: (البدع)، وهي بالقطاعين تبوك وساحل البحر الأحمر على بعد (١٣٩) كيلًا غرب تبوك، وشرق رأس الشيخ حميد - على البحر - بمسافة (٢٠) كيلًا، وهي تابعة لمنطقة تبوك التي تقع شمال غرب المملكة العربية السعودية[3].

ومن خلال الاطلاع والبحث عن موقع مدينة مدين عند المفسرين والجغرافيين القدماء والمعاصرين يمكن القول بأنّ مدين على الصحيح: كانت تمثل إقليمًا كبيرًا وواسعًا، وكانت تقع في شمال غرب الجزيرة العربية بين تبوك والبحر الأحمر، على بعد (١٣٢) كيلًا غرب تبوك، وكانت عاصمتها ومركزها الرئيس في مدينة البدع السعودية حاليًا، وكان لها منفذ بحري على البحر الأحمر، وكانت ممتدة إلى معان في الأردن، وبئر السبع وكثير منها في فلسطين، وكانت في فترات ازدهارها تصل إلى طور سيناء في حدود مصر.

ويؤيد هذا ما ترجح لدى الجغرافيين وعلماء الآثار المسلمين: أنّ أرض مدين كان مركزها في بلدة البدع بين تبوك والساحل، وهي في واد بين الجبال، ويسمى وادي عفال، وأنها كانت ممتدة في أطراف واسعة، قد تصل إلى معان في شرقي الأردن مما يلي

---

[1] انظر: معجم البلدان ٤/ ٤٧١، تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، عبدالعزيز بن صالح ص١٣٥، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ١/ ١٤٤، دراسات في تاريخ العرب القديم، محمد بيومي مهران ص١٧١.

[2] انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي ٤/ ٤٧١، آثار البلاد وأخبار العباد، زكريا القزويني ص٢٤٩، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، محمد حسن شراب ص٢٤٣، أطلس القرآن، شوقي أبو خليل ص٧٠.

[3] انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة، عاتق البلادي ص٢٨٤، أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، سامي المغلوث ص١٣٩.

باسم البحر[1].

ومما يؤيد ذلك أيضاً أن مغاير شعيب والآثار ومدين المعروفة اليوم تقع حالياً في محافظة البدع، وهي إحدى محافظات منطقة تبوك السعودية، وتبعد عن تبوك (٢٢٣) كيلاً إلى الشمال الغربي منها[2].

ثالثاً: التسمية:

سمى الله سبحانه وتعالى قوم شعيب عليه السلام باسمين الأول مدين والآخر بأصحاب الأيكة كما يأتي على هذا التفصيل:

أولاً: سمى الله سبحانه وتعالى قوم شعيب عليه السلام بمدين في مواضع في القرآن الكريم،

قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف:٨٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [هود:٨٤].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [العنكبوت:٣٦].

بالإضافة إلى تسمية مدين في قصة موسى عليه السلام من دون ذكر النبي شعيب عليه السلام، قال سبحانه: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه:٤٠].

وقال تقدست أسماؤه: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ [القصص:٢٢].

وقال عز وجل: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص:٢٣].

وقال جل شأنه لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ [القصص:٤٥].

---

(١) انظر: المعالم الأثرية في السنة والسيرة، محمد حسن شراب ص ٢٦٣، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق البلادي ص ٢٨٤.

(٢) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي ٥/ ٧٧، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي ١/ ٣١٥.

وفي تسمية قوم شعيب بمدين قولان:

أحدهما: لأنهم بنو مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام، فقيل مدين، والمراد بنو مدين، كما يقال مضر والمراد بنو مضر.

الثاني: أن مدين اسم مدينتهم، نسبوا إليها، ثم اقتصر على اسم المدينة تخفيفاً، وعلى اختيار أنها اسم مدينة فهل هو اسم أعجمي أو عربي، فيه وجهان: أحدهما: أنه اسم أعجمي، والثاني: أنه اسم عربي، وهل هو اسم مشتق أو جامد، فقد ذكر المفسرون أنه اسم مشتق، واختلفوا في مادة الاشتقاق على وجهين: أحدهما: أنه من قولهم مدن بالمكان، إذا أقام فيه، والياء زائدة، وهذا قول من زعم أنه اسم مدينة، والثاني: أنه مشتق من قولهم دين، أي ملكت، والميم زائدة، وهذا قول من زعم أنه اسم رجل[1].

وأما شعيب فتصغير شعب، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه الطريق في الجبل، والثاني: أنه القبيلة العظيمة، والثالث: أنه مأخوذ من شعب الإناء المكسور[2].

ثالثاً: سمى الله سبحانه وتعالى قوم شعيب عليه السلام بأصحاب الأيكة في عدة مواضع من كتابه فقال سبحانه: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ٧٨﴾ [الحجر:٧٨].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ١٧٦ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٧٧ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ١٧٨﴾ [الشعراء:١٧٦-١٧٨].

وقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ١٣﴾ [ص:١٢-١٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤﴾ [ق:١٤].

والأيكة عند أهل اللغة هي: الشجر الكثير الملتف، وتسمى أيضاً الغيضة، وجمعها أيك، وكل شجر ملتف كثير عند العرب أيكة، وقيل: هي الغيضة تنبت السدر والأراك ونحوهما من ناعم الشجر[3].

---

[1] انظر: الكشف والبيان، الثعلبي ٧/ ٢٤٣، النكت والعيون، الماوردي ٢/ ٤٩١، معالم التنزيل، البغوي ٣/ ٢٦٤، المحرر الوجيز، ابن عطية ٢/ ٤٢٦، مفاتيح الغيب، الرازي ١٤/ ٣١٣، التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠/ ٢٦١.

[2] انظر: جامع البيان، الطبري ١٢/ ٥٥٤، الكشف والبيان، الثعلبي ٧/ ٢٤٣، معالم التنزيل، البغوي ٣/ ٢٦٤، المحرر الوجيز، ابن عطية ٢/ ٤٢٦، مفاتيح الغيب، الرازي ١٤/ ٣١٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٧/ ٢٤٧، التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٠/ ٢٦١.

[3] انظر: غريب القرآن، ابن قتيبة ص ٢٢٠، مقاييس اللغة، ابن فارس ١/ ١٦٥، لسان العرب، ابن منظور ١٠/ ٣٩٤.

ولكن تسمية قوم شعيب عليه السلام بأصحاب الأيكة محل خلاف بين المفسرين على أقوال:

القول الأول: ذهب أكثر المفسرين على أن أصحاب الأيكة هم قوم شعيب عليه السلام.

القول الثاني: ذكر بعض المفسرين عن قتادة: إن شعيبًا عليه السلام أرسل مرتين إلى مدين وإلى أصحاب الأيكة، فأما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظلة، وأما أهل مدين فأخذتهم الصيحة، صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا جميعًا»[1].

القول الثالث: هناك من المفسرين من يجعل أصحاب الأيكة فريقًا من قوم شعيب غير أهل مدين: فأهل مدين منهم هم سكان الحاضرة، وأصحاب الأيكة هم بالبادية، وقيل: من ساحل البحر إلى مدين، وكان شعيب رسولًا إليهم جميعًا، وفيهم قال تعالى: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝﴾ [الشعراء: ١٧٦-١٧٨].

وفي آية أخرى: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ۝ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [الحجر: ٧٨-٧٩][2].

قال الإمام ابن كثير: «وأصحاب الأيكة: هم أهل مدين على الصحيح... والصحيح أنهم أمة واحدة، وصفوا في كل مقام بشيء، ولهذا وعظ هؤلاء وأمرهم بوفاء المكيال والميزان كما في قصة مدين سواء بسواء، فدل ذلك على أنهما أمة واحدة»[3].

وقد كان نبي الله شعيب عليه السلام من أنفسهم، وإنما لم يقل هاهنا: أخوهم شعيب؛ لأنهم نسبوا إلى عبادة الأيكة، وهي شجرة كثيرة ملتفة، كانوا يعبدونها، فلهذا لما قال: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾، لم يقل: إذ قال لهم أخوهم شعيب، وإنما قال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾، فقطع نسب الأخوة بينهم؛ للمعنى الذي نسبوا إليه من عبادة الأيكة وإن كان أخاهم نسبًا، وبعض المفسرين لم يفطن لهذه النكتة، فظن أن أصحاب الأيكة غير أهل مدين، فزعم أن شعيبًا عليه السلام بعثه الله إلى أمتين، ومنهم من قال: ثلاث أمم[4].

---

(١) انظر: الكشف والبيان، الثعلبي ٤/ ٢٦٠، المحرر الوجيز، ابن عطية ٣/ ٤٢٩، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٩/ ٨٥.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري ١٧/ ١٩٤، التفسير الوسيط، الواحدي ٣/ ٥٠، النكت والعيون، الماوردي ٣/ ١٦٨، الكشف والبيان، الثعلبي ٤/ ٢٦٠، المحرر الوجيز، ابن عطية ٣/ ٤٢٩، البحر المحيط، أبو حيان ٥/ ١٠٤، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٩/ ٨٥، لباب التأويل، الخازن ٣/ ٢٢٦، التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤/ ٧٦.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم ٦/ ١٤٣.

(٤) انظر: جامع البيان، الطبري ١٩/ ٣٩٠، النكت والعيون، الماوردي ٣/ ١٦٨، مفاتيح الغيب، الرازي

وأما موقع الأيكة ومكانها الجغرافي هو ضمن موقع مدين، وعلى وجه التحديد يمكن الاستئناس بما ذكره علامة الجزيرة في التاريخ حمد الجاسر في كتابه: في شمال غربي الجزيرة: « أن الأيكة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم هي قرب تبوك التي غزاها الرسول صلى الله عليه وسلم في آخر غزواته، وأهل تبوك يعرفون ذلك ويعرفونه، ولم أجد مثله في كتب التفسير، بل بتبوك الأيكة القديمة الملتفة بالأشجار، والصحيح أيضاً، والمراد بأصحاب الأيكة أهل مدين، الذين: ومدين وتبوك متجاورتان، وأقول: لا يزال يطلق اسم الأيكة على واد من وديان حقل في المنطقة الشمالية بلاد مدين، والتي فيها مغاير شعيب عليه السلام »[1].

ثالثاً: الزمان:

لقد بين القرآن الكريم الزمن الذي كانت فيه مدين وحكم فيه نبي الله شعيب عليه السلام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ﴿٨٩﴾﴾ [هود: ٨٩].

والمراد بالبعد في الآية هو: بعد الزمن والمكان، وبالنسبة للزمن لوط عليه السلام قريب من زمن شعيب عليه السلام، وكان مدين بن إبراهيم عليه السلام يعمر بعد هلاك قوم لوط بقليل، وقد ذكر بعض المفسرين أن مدين كان متزوجاً بابنة لوط عليه السلام[2]، وقيل: إن المراد بالبعد هو أنهم غير بعيدين في الصفات والأعمال المستقبحات من قطع الطريق، وأخذ أموال الناس جهراً وخفية بأنواع الحيل والشبهات، والجمع بين هذه الأمور، مساكن القوم لم يكونوا بعيدين منهم لا زماناً ولا مكاناً ولا صفاتٍ[3].

١٩/ ١٣٧، التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٤/ ٧١.

[1] انظر: أطلس تاريخ الأنبياء والرسل، سامي المغلوث ص١٤٦.

[2] ذكر جمهور المؤرخين والمفسرين أن شعيباً يتصل نسبه بمدين بن إبراهيم الخليل، ولا يعني ذلك أن لإبراهيم ولدين فقط وهم إسماعيل وإسحاق فقط، إذ لا يوجد دليل شرعي يحصر أبناء إبراهيم في اثنين.
انظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي ١/ ٣٢٤، البداية والنهاية، ابن كثير ١/ ١٩٨، جامع البيان، الطبري ١٤/ ٣١٠، النكت والعيون، الماوردي ٢/ ٤٩٤، التفسير الوسيط، الواحدي ٢/ ٣٨٧، الكشاف، الزمخشري ٢/ ١٢٨، المحرر الوجيز، ابن عطية ٣/ ٤٦٦، البحر المحيط، أبو حيان ٥/ ١٠٨، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٤٠١، فتح القدير، الشوكاني ٢/ ٥٩٩.

[3] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٨/ ٣٨٩، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤/ ٢٩٧، فتح القدير، الشوكاني ٢/ ٥٩٩، التفسير الوسيط، طنطاوي ٧/ ٢٦٢، التفسير المنير، الزحيلي ١٢/ ١٠٩.

ويعتقد بعض المفسرين أن شعيبًا عليه السلام قد عاش بعد إبراهيم الخليل، وبعد يوسف عليهما السلام[1]، قال ابن كثير: «كان شعيب قبل زمان موسى عليه السلام بمدة طويلة لأنه قال لقومه: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ وقد كان هلاك قوم لوط في زمن الخليل عليه السلام بنص القرآن، وقد علم أنه كان بين الخليل وموسى عليهما السلام مدة طويلة تزيد على أربعمائة سنة، كما ذكره غير واحد»[2].

رابعًا: تاريخ مدين:

يعتقد بعض علماء الآثار المعاصرين أن آثار بلدة قرية البدع التي تقع في شمال تبوك ترجع إلى قوم مدين، وأن مدين كانت معاصرة لعهد موسى عليه السلام، ووجود في هذا دليلًا على قدم وجودها وإمكانية نسبتها إلى ما قبل القرن الثالث عشر ق. م على أقل تقدير.

ويعتقدون أن النبي شعيبًا عليه السلام الذي ذكر في القرآن الكريم رسولًا لأهل مدين، وأنه يحتمل

توافقت حياته بأوائل الحركات العمارية التاريخية القديمة[3].

ويرجح بعض الباحثين المعاصرين من علماء الآثار والتاريخ: أن عصر شعيب عليه السلام إنما كان قبل عصر موسى، مستدلين في ذلك على أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر شعيبًا في القرآن الكريم - كما في سورة الأعراف وهود والشعراء والعنكبوت - بعد نوح وهود وصالح ولوط وقبل موسى[4].

ومن خلال التقويم لعصر الخليل عليه السلام، والذي كان بين: (١٩٤٠ - ١٧٦٥ق. م) وأن لوطًا عليه السلام وقومه إنما كانوا معاصرين لأبي الأنبياء عليه السلام، قال بعض الباحثين المعاصرين: إن شعيبًا وقومه إنما كانوا يعيشون بعد القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وخاصة أن المصادر التاريخية تذكر أن مدين هو من ولد إبراهيم الخليل عليه السلام الذي

---

(1) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٨/ ٣٨٤، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/ ٤٤٠، فتح القدير، الشوكاني ٢/ ٥٨٩.

(2) انظر: تفسير القرآن العظيم ٦/ ٢٠٥.

(3) انظر: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، عبدالعزيز بن صالح ص ٢٣٥، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ١/ ٤٤٤، دراسات في تاريخ العرب القديم، محمد بيومي مهران ص ١٧١.

(4) انظر: دراسات في تاريخ العرب القديم، محمد بيومي مهران ص ١٧٢.

هؤلاء – [illegible] – أن القوم إنما كانوا يعيشون في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، على صحة الرأي ما ذهب إليه بعضهم من أن يثرون كاهن مدين وصهر موسى، إنما هو شعيب نبي مدين العربي، وذلك أنهم يقدرون زمن خروج موسى من مصر هاربًا إلى مدين، إنما كانت في هذا القرن الثالث عشر ق. م[1].

ويمكن القول: إن هذا التقدير ربما قد يكون صحيحًا أو يقارب الصحة إلى حد كبير؛ لأن بعض المفسرين يذكرون أن بين الخليل عليه السلام وموسى عليه السلام أربعمائة عام، وكذلك بين اليوم الذي دخل فيه يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عام[2]، بالإضافة إلى ما يذكر من أن شعيبًا عليه السلام كان من المعمرين، فالمذكور في بعض المصادر أن شعيبًا عليه السلام عمر (٢٤٠) عامًا[3].

---

(١) انظر: تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة، عبد العزيز بن صالح ص ١٣٢، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ٦/ ١٢٢، دراسات في تاريخ العرب القديم، محمد بيومي مهران ص ١٩١.

(٢) انظر: الكشاف، الزمخشري ٢/ ١٣٨، البحر المحيط، أبو حيان ٥/ ١٩٩، مدارك التنزيل، النسفي ٢/ ٩٩، التفسير المنير، الزحيلي ٩/ ٣٢.

(٣) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير ١/ ٢٢٤، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/ ٢٠٤.

ذكر مدين في القرآن الكريم

ورد ذكر مدين في القرآن الكريم (١٠) مرات في (٧) سور، وقد ذكروا بلفظ (أصحاب الأيكة) (٤) مرات.

وأما قصتهم فقد وردت في السور الآتية:

الأعراف	٨٥–٩٣
هود	٨٤–٩٥
العنكبوت	٣٦–٣٧
الحج	٤٤

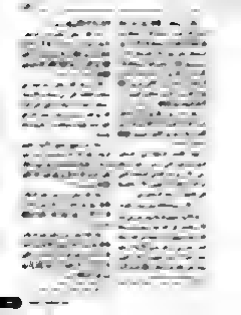

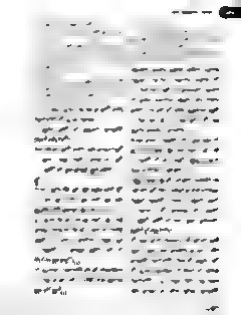

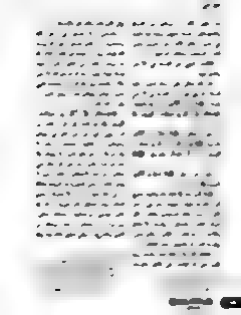

آبستن شدن حاملہ شدن

از: حمد

بدانید ای حریفان عزیز که شدن در
اصطلاح علمی عبارت است از تغییر
ترکیب اجزاء یک شیء به ترکیب
دیگر، بدون این که ماهیت و جوهر
آن شیء تغییر کند. مثلاً آب که
ترکیب آن از دو عنصر اکسیژن و
هایدروجن است، وقتی که تبدیل به
بخار می‌شود، ترکیب اجزاء آن
تغییر می‌کند، ولی ماهیت و جوهر
آن تغییر نمی‌کند. یعنی بخار آب
همان آب است که ترکیب اجزاء آن
تغییر کرده است.

حال ای رفیقان عزیز، وقتی که
یک دختر خانم به سن بلوغ می‌رسد،
ترکیب اجزاء بدن او تغییر می‌کند
و به یک زن تبدیل می‌شود. ولی
ماهیت و جوهر او تغییر نمی‌کند.
یعنی دختر خانم همان زن است که
ترکیب اجزاء بدن او تغییر کرده
است.

حال ای رفیقان عزیز، وقتی که
یک دختر خانم به سن بلوغ می‌رسد،
ترکیب اجزاء بدن او تغییر می‌کند
و به یک زن تبدیل می‌شود. ولی
ماهیت و جوهر او تغییر نمی‌کند.
یعنی دختر خانم همان زن است که
ترکیب اجزاء بدن او تغییر کرده
است.

والتذكير بنعمة الله تعالى طريق من طرق مواجهة الرسل.

قال تعالى حكاية عن هود عليه السلام: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩].

وقال عن شعيب عليه السلام: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦].

وقال الله لموسى عليه السلام: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥].

وقال عن محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦](١).

ويمكن ذكر أهم أسرار التذكير بالنعم ما يلي:

١. أن في معرفة النعم ما يدعو لمحبة الذي خلقهم ورزقهم الذي يعبدونه.
٢. أن ذكر النعم يوجب حياء المعاند فلعلهم بهذه النعم التي يتمتعون بمقابلة ما يدعو إليه من الإيمان بالله ورسوله.
٣. أن التذكير بالنعم الكثيرة يوجب الحياء من الله تعالى من الإعراض والمخالفة.

د. أن التذكير بالنعم الكثيرة يؤيد أن المنعم المستحق من بين سائر الخلق بأنه [illegible] [illegible] كانوا [illegible] أنه لا يرزقهم غيره كما قال [illegible] المعروف من [illegible] النعم السابقة [illegible] في النعم الكثيرة وبالله التوفيق [illegible] من الإعراض والمخالفة والمخالفة(٢).

---

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٨/ ٢٩٦، أسرار القصص القرآني ص ١٠٩.

(٢) انظر: [illegible] البيان القرآني ٢/ [illegible]، [illegible] ٢/ ٣٦٩، [illegible] ١/ ٤٨٩، [illegible] الرازي ١٤/ ٣٦٥، البحر المحيط لأبي حيان ٤/ ٨.

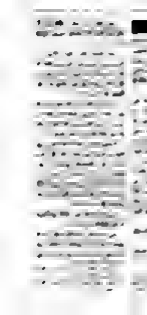

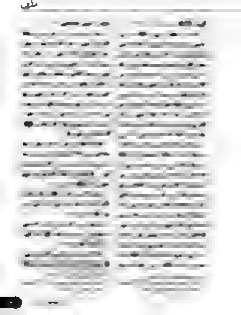

فتسلكهم سبيلهم ﴿ [مريم: ٨٣].

أي: تغريهم في الضلالات، لا بد أن يأتيهم ما أصابهم من العذاب[1]، والظاهر من السياق الكريم أن المراد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible].

وقال الطبري: [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] عليها[2].

٣. التشبيه في المصير

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الأعراف: ٩٢].

أي: أهلك الذين كذبوا شعيبا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كأن لم يغنوا فيها، أي: الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها، أي: لم يعيشوا ولم يقيموا ولم يتنعموا، ولم يعمروا، وأصله من [illegible] [illegible] بالمكان [illegible] [illegible] والمغاني: المنازل[3].

قال الماوردي عند تفسيره لقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ فيه أربعة تأويلات:

أحدها: كأن لم يعيشوا فيها، قاله ابن عباس.

والثاني: كأن لم يعمروا فيها، قاله الأخفش.

والثالث: كأن لم ينعموا فيها، قاله قتادة.

والرابع: كأن لم يقيموا فيها، قاله ابن عيسى.[1]

---

[1] انظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٠٩، غريب القرآن للسجستاني ص ٢٢٣، المفردات للراغب الأصفهاني ص ٤٣٢

[2] جامع البيان للطبري ١٦/ ١٢٠

[3] انظر: جامع البيان للطبري ١٢/ ٥٦٩، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/ ٣٥١، الكشاف [illegible] والبحر المحيط ٤/ ٣٤٢

[1] انظر: النكت والعيون للماوردي ٢/ ٢٤

[redacted]

[redacted]

[redacted]

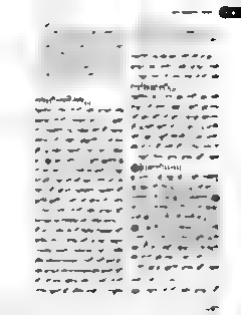

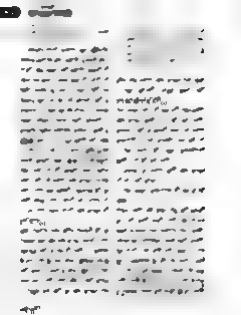

الطويلة من غير تحريف ولا خلط، إعجاز، ومن أوضح الأدلة على أنه صلى الله عليه وسلم رسول كريم، وقد كانت المعجزات الباهرة الدالة على ذلك أكثر من الحصر، ليبين بذلك صدق نبيه، لأنه أمي لا يكتب ولا يقرأ الكتب، ولم يتعلم أخبار الأمم وقصصهم، فلولا أن الله أوحى إليه ذلك لما علمه، كما قال تعالى عن إخباره بغيب آخر يتعلق بمريم وما حصل لها في قوله: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [آل عمران: ٤٤].

أي: فلولا أن الله أوحى إليك ذلك لما كان لك علم به، وقوله تعالى بعد ذكر الأخبار بالغيب من الأنبياء والمرسلين: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩].

وقوله أيضا: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠].

وقوله تعالى بعد تمام قصة يوسف بطولها واستيفائها: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف: ١٠٢].

وقوله سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣].

إلى غير ذلك من الآيات[1].

ففي الإخبار بالغيب من قصص الأنبياء السابقين عليهم السلام إيحاء لصاحب الرسالة المحمدية بأخبار إخوانه من المرسلين الأخيار، فقد كانت تلك الأخبار الصادقة غيبًا لم يشاهدها محمد ولا عاصرها هو ولا قومه، ولم يكن محمد صلى الله عليه وسلم حيًا بين أصحابها حتى يخبر قومه بها، ولم يعلمها من غيره، ولكن الله تعالى هو الذي أوحى بها لمحمد صلى الله عليه وسلم وأرسله إلى الناس رسولًا، ويجعل هذه الأخبار دليلًا على صدق نبوته. فقد جاءت هذه الأحداث التي جاء بها القرآن الكريم بتفصيلاته صادقة واقعية في الصادق من أخبار النبيين في كتبهم التي يتناولها أهل الكتاب، ولم يتناولها التحريف[2].

---

[1] انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ٤/ ٩٤.

[2] انظر: المعجزة الكبرى القرآن، أبو زهرة ص ١٤٠.

دروس وعبر مستفادة من قصة شعيب

يمكن بيان الدروس المستفادة من قصة شعيب في القرآن من خلال النقاط الآتية:

١. إن دعوة الرسل عليهم السلام متفقة في العقيدة، إذ كلها تقوم على أساس توحيد الله تعالى والعبادة الخالصة له سبحانه، وأن ذلك أول ما يخاطبون به أولاً، ثم بعد ذلك الأمر بغيره.

٢. إن وظيفة الرسل عليهم السلام ومتبعيهم في إرادة الإصلاح العام والشامل بحسب القدرة والإمكان، بإرادة تحصيل المصالح وتكميلها، أو تحصيل ما يقدر عليه منها، ودفع المفاسد وتقليلها، ومراعاة المصالح العامة على المصالح الخاصة.

٣. إن من قام بما يقدر عليه من الإصلاح، لم يكن ملوماً ولا مذموماً في عدم فعله ما لا يقدر عليه، فعلى العبد أن يقيم من الإصلاح في نفسه وفي غيره ما يقدر عليه، وبذلك يكون قد أدى الواجب الذي عليه[1].

٤. حرمة نقص الكيل والميزان، وأن نقص المكاييل والموازين من كبائر الذنوب، وتخشى العقوبة العاجلة على من تعاطى ذلك، وأن ذلك من سرقة أموال الناس، وإذا كانت سرقتهم في المكاييل والموازين موجبة للوعيد، فسرقتهم - على وجه القهر والغلبة بقطع الطريق وأخذ المشهور - من باب أولى وأحرى.

٥. حرمة بخس الناس في جميع حقوقهم المادية: كالكيل والوزن وأجور العمال وأسعار البضائع ونحو ذلك، وحرمة بخس الناس في حقوقهم المعنوية: كحق التأليف والمبتكرات والشهادات العلمية ونحوها.

٦. حرمة السعي بالفساد في الأرض بأي نوع من الفساد، وأعظمه تعطيل شرائع الله تعالى والصد عن سبيل الله بمنع الناس من الدين والالتزام بالشريعة ظاهرا وباطنا، والسعي في الأرض بالمعاصي، لاسيما البلاد التي عمرها الله بالإسلام وأسسها بشرعه.

٧. حرمة التلصص وقطع الطريق وإخافة المارة.

٨. أن على العبد أن يقنع بما آتاه الله، ويقنع بالحلال عن الحرام وبالمكاسب المباحة عن المكاسب المحرمة، وأن ذلك خير له لقوله: ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ففي ذلك من البركة وزيادة الرزق ما

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٣٨٨.

٩. ليس في التكالب على الأسباب المحرمة من البخس ونحوه البركة[1].

١٠. لا يصح إيمان عبد يؤمن ببعض الرسل ويكفر ببعض، كما لا يصح إيمان عبد يؤمن ببعض ما أنزل الله تعالى على رسله ويكفر ببعض.

١١. مشروعية الدعاء وسؤال الله تعالى الحكم بين أهل الحق وأهل الباطل؛ لأن الله تعالى يحكم بالحق وهو خير الحاكمين.

١٢. التحذير من التطفيف ومن الإسراف في الشر والفساد فإنه موجب الهلاك والخسار في الدنيا والعذاب في الآخرة.

١٣. تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والتخفيف عنه إذ كذبت قبل قريش أمم كثيرة من الأمم كأصحاب مدين وقوم لوط وفرعون.

١٤. بيان سنة بشرية وهي: أن الطغاة والمتكبرين يتمادون بالباطل حتى إذا أعياهم الجدال وأفحموا بالحجج بدل أن يسلموا بالحق ويعترفوا به ويقبلوه فيستريحوا ويريحوا، يلجؤون إلى القوة بطرد أهل الحق ونفيهم أو إكراههم على قبول الباطل بالضرب والقتل.

١٥. الجزاء من جنس العمل، فمن يبخس أموال الناس يريد زيادة ماله عوقب بنقيض مقصده وكان سبباً لزوال النعم التي عنده من الرزق، قال: ﴿إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ أي: فلا تسببوا إلى زواله بفعالكم.

١٦. المال الذي يرزقه الله الإنسان – وإن كان الله قد خوله إياه – فليس له أن يصنع فيه ما يشاء؛ فإنه أمانة يجب عليه أن يقيم حق الله فيه بأداء ما فيه من الحقوق، والامتناع من المكاسب التي حرمها الله ورسوله، لا كما يزعم الكفار، ومن أشبههم أن أموالهم لهم أن يصنعوا فيها ما يشاؤون ويختارون، سواء وافق حكم الله أو خالفه.

١٧. الترهيب بقصص الأمم وما جرى عليهم وأنه ينبغي أن تذكر القصص التي فيها إيقاع العقوبات بالمجرمين في سياق الوعظ والزجر، كما أنه ينبغي ذكر ما أكرم الله به أهل التقوى عند الترغيب والحث على التقوى.

١٨. الحياء من الرجال الأجانب، وأن ذلك سمة المؤمنات من عهد شعيب وليس كما يقول المبطلون هو حالة جاهلية، فبنتا شعيب عليه السلام مثلاً في غاية الحياء والطهر والعفاف وخطبت إحداهما وحياؤها عند موسى حياء والتقوى.

١٩. تجلي كرم شعيب عليه السلام ومروءته

---

[1] انظر: المصدر السابق.

وشهامته في تأمين موسى وإكرامه وإيوائه.

٣٠. بيان أن الكفاءة شرط في العمل، ولا أفضل من القوة وهي القدرة البدنية والعلمية والأمانة.

٣١. مشروعية عرض الرجل ابنته على من يرى صلاحه وأمانته ليزوجه بها.

٣٢. مشروعية الإشهاد لله تعالى على المشارطة بقول: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

٣٣. فضيلة موسى عليه السلام بإيثار الأتم على شيخ مدين وإحسان قربه[1].

٣٤. قصة موسى عليه السلام في مدين من دلائل نبوة محمد ﷺ لأن الإخبار بالغيب من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم لأن الله نفى أن يكون النبي محمد في مدين حتى يخبر بهذه القصة بتفاصيلها مما يدل على أن القرآن كلام الله تعالى.

[illegible]

شعيب عليه السلام موسى عليه السلام

[illegible]

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ٦١٨؛ أيسر التفاسير، الجزائري ٤/ ٦٨.